

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثامنة والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله) .

مع جانب جديد من حياة الإمام البخاري (رحمه الله)، مع جانب في عبادته وورعه وصلاحه ، فكما كان رحمه الله مضرب المثل بالعلم والحفظ، فقد كان أيضاً مضرب المثل في العبادة والورع ، وليس ذلك بعجيب فإن هذه الحال هي ثمرة العلم ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع .

ومع انشغال البخاري (رحمه الله) بالعلم والتعليم ، وبالحديث والتحديث ، فإن ذلك لم يشغله عن تلاوة كتاب الله وختمه ، فقد كان (رحمه الله) يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة . وعلى هذا فإن البخاري (رحمه الله) يختم في رمضان قريباً من أربعين ختمة .

فليقف الشباب مع أنفسهم موقف تأمل وحساب، كم يختم الواحد منهم في شهر رمضان من ختمة ، لا سيما أنه ليس لديهم من الأشغال ما يعطلهم عن قراءة القرآن ، علماً بأن تيسر سبل الحياة في هذا الزمان كفى الشباب كثيراً من الجهد والوقت في مؤونة العيش .

واستمع أخى الشاب إلى جانب من جوانب ورع البخاري (رحمه الله) حيث يقول :
أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً .

قال بكر بن منير : قلت صدق رحمه الله ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا، وقل أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث، حتى إنه قال إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واه، وهذا معنى قوله لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا وهذا هو والله غاية الورع .

وقال البخاري أيضاً : ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها.

لم يتكلم أبو عبد الله (رحمه الله) في الرجال إلا لبيان أحوالهم حفظاً لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولولا ذلك لم يتكلم في أحد من الناس ، وهو الذي يعلم ضرر الغيبة على الناس ، فقد بوب البخاري في صحيحه : بَابُ الْغَيْبَةِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) . وساق تحت هذا الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال مرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيَسَّ .

وفي شأن صلاته يقول محمد بن أبي حاتم الوراق : كان أبو عبد الله يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وكان لا يوقظني في كل ما يقوم فقلت أراك تحمل على نفسك ولم توقظني قال أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك .

وقال محمد بن أبي حاتم دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه فلما صلى بالقوم الظهر قام يتطوع فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فقال لبعض من معه انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً فإذا زبور قد أبره (أي لدغته) في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً وقد تورم من ذلك جسده فقال له بعض القوم كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أبرك قال كنت في سورة فأحببت أن أتمها .

وقال عبد الله بن سعيد بن جعفر : سمعت العلماء بالبصرة يقولون ما في الدنيا مثل محمد بن إسماعيل في المعرفة والصلاح .

وقد مر من قبل أنه لما ألف الصحيح كان يصلي ركعتين عند كل ترجمة .

وقال محمد بن أبي حاتم ركبنا يوماً إلى الرمي ونحن بفرير فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفريضة (وهي مشرب الماء من النهر) فجعلنا نرمي وأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة الذي على نهر ورادة فانشق الوتد، فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي. وقال لنا ارجعوا ورجعنا معه إلى المنزل فقال لي يا أبا جعفر لي إليك حاجة، تقضيها؟ قلت: أمرك طاعة، قال: حاجة مهمة، وهو يتنفس الصعداء فقال لمن معنا إذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته. فقلت أية حاجة هي؟ قال لي تضمن قضاءها؟ قلت نعم، على الرأس والعين، قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر، فقال لي أبلغ أبا عبد الله السلام وقل له أنت في حل مما كان منك. وقال جميع ملكي لك الفداء وإن قلت نفسي أكون قد كذبت، غير أنني لم أكن أحب أن تحتشمي في وتد أو في ملكي، فابلغته رسالته فتهلل وجهه واستنار وأظهر سرورا وقرأ في ذلك اليوم على الغبراء نحواً من خمس مائة حديث وتصدق بثلاث مائة درهم .

وفي ورعه أيضاً يقول محمد بن أبي حاتم سمعت أبا عبد الله يقول لأبي معشر الضرير اجعلي في حل يا أبا معشر فقال من أي شيء قال رويت يوماً حديثاً فنظرت إليك وقد أعجبت به وأنت تحرك رأسك ويدك فتبسمت من ذلك قال أنت في حل رحمك الله يا أبا عبد الله .

وقال محمد بن أبي حاتم وكان البخاري يركب إلى الرمي كثيراً فما أعلمني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين فكان يصيب الهدف في كل ذلك وكان لا يسبق .

وكما فاق البخاري رحمه الله في العلم وفي التقوى والورع فقد فاق أيضاً في الرمي والسبق ، وهكذا هم شباب الإسلام لهم في كل مجال سبق وإقدام ، فما أحوج أمة الإسلام إلى أمثالهم .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودياننا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .